Arabic Renewal Journal مجلة التجديد العربي
مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الاول / يوليو 2023
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

البحث في تاريخ الترجمة من أجل مستقبل للترجمة

أمال عرام –المغرب

ملخص:

لا يمكن الحديث عن الترجمة وتأسيس علم لها قائم بذاته دون الحديث عن القيام بتأريخ لمسار الترجمة عبر الحقب الزمنية وما تميزت به وما خلفته من موروث علمي وأدبي وثقافي وحضاري بل وإنساني واسع. إن الترجمة علم وفن وممارسة لا تعنى بالشيء الواحد ودور الحديث عن التأريخ لها مهم من أجل بناء النظريات الترجمية من أجل ممارسة ناجعة. فدراسة الترجمة ليست فقط مجرد دراسة آليات للنقل من لغة إلى أخرى فهي تخصص تواصلي بين اللغات والثقافات المختلفة. وتاريخ الترجمة هو حلقة الوصل بين الممارسة في الماضي والحاضر والمستقبل

كلمات مفتاحية: الترجمة – تاريخ – اللغة – النظرية

هناك علاقة وطيدة بين تطور اللسانيات في العالم الغربي وبين اعتبار الترجمة مجالا قائما بذاته تؤسس له تخصص أصبح يطلق عليه الدراسات الترجمية (Traductologie). حسب لامبير (1993:22) (Lambert) فإن الدراسات الترجمية تحتاج إلى مؤرخين يبحثون ويكتبون عن تاريخ الترجمة لأن البحث في الماضي سيمكننا من معرفة الأنساق التي اتبعتها الترجمة لتصل إلى ما هي عليه في عصرنا الحالي. فبدأنا نرى مجالا حديث الولادة يسمى تأريخ الترجمة أو البحث في تاريخ الترجمة. قد تبدو هذه الأبحاث للوهلة الأولى مدرد دراسات متفرقة تعنى بالتحدث وسرد تطور الترجمة عبر الزمن. إلا أن الأمر لا يتعلق فقط بالتأريخ من أجل التاريخ في حد ذاته. فالترجمة هي الممارسة الوحيدة التي يمكن أن تطال كل المجالات دون استثناء، فلم نحصرها في ممارسة جافة، ضرورية من أجل التعرف على لغة الآخر، في حين أن دورها أكبر بكثير من ذلك ارتأيت في هذه الورقة التطرق لأهداف التأريخ للترجمة وما هي الطرق المتبعة في البحث في هذا المجال. إذن السؤالين الجوهريين الذين سأحاول الإجابة عنهما هما لم نبحث في تاريخ الترجمة وكيف؟

في معظم المدارس العليا والجامعات حول العالم التي تكون مترجمين تحريريين أو مترجمين فوريين نجد أن المنهاج يحتوي على برنامج يضع فصولا للتحدث عن تاريخ الترجمة. فهذه الممارسة عندما نعتبرها علما قائما بذاته وليست مجرد تمرين لها تاريخ عريق يبدأ منذ أصبحت الكتابة مهمة في تاريخ الإنسانية وأصبح التعرف على الآخر هاجسا عند البشر. فدراسة الترجمة ليست فقط مجرد دراسة آليات للنقل من لغة إلى أخرى فهي تخصص تواصلي بين اللغات والثقافات المختلفة. فدراسة تاريخ الترجمة يفيد

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المترجمين في التعرف على منحى تطور الثقافات واستراتيجيات الترجمة في العصور السابقة التي نهجها السلف[1]. ويضيف دوليل (1997:22) (Delisle) أن اللسانيات من منظور أنطوان ميلي ترى أن كل ظاهرة لغوية مرتبطة وتعبر عن فعل حضاري. إذن فذلك يعني أننا عندما نتعرف على الطرق والوسائل التي نهجها المترجمون الأولون فنحن نبني لما ستكون عليه الترجمة في الحاضر والمستقبل والتعرف على مفاهيم الأمانة خلا ل فعل الترجمة والتكافؤ والخيانة وغيرها وكيف كان ينظر إليها. ويرى ليفن دوهولست (Lieven D'hulst) (13-1994:12) أنه من الضروري أن يكون لتاريخ الترجمة دور في تدريس الترجمة وذلك حتى يتمكن المترجم من اكتساب معارف أوسع ومتكاملة نوعا ما حول الترجمة لأنها مهنة سيمتهنها وإلا لن يكون سوى مترجم مؤقت سرعان ما يفتر بريق أعماله. فتركزت إذن إعمال الكثير من الدارسين والباحثين في الترجمة على التأريخ لها من أجل رسم تسلسل زمني واضح للفكر المتعلق بممارسة الترجمة وذلك من خلال التعريف بالمترجمين الكبار الذين عرفهم التاريخ وتسليط الضوء على أعمالهم وطرق اشتغالهم والسجالات الكبيرة والعميقة التي كانت تثار خلال كل حقبة أو حول أعمال كل مترجم. إن الترجمة منذ الأزل تهتم بجميع التخصصات فليس هناك مجال أو حقل معرفي لا يمكن للترجمة الولوج إليه. وقد عبر عن ذلك فان هوف (Van Hoof) قائلا أن المتخصص والمتعمق في الترجمة منذ قرون خلت سيطرح أسئلة من قبيل لم نترجم وهل نترجم بالطريقة نفسها، ويردف قائلا: "إن دراسة تاريخ الترجمة يعادل في حقيقة الأمر مراجعة تاريخ العالم وتاريخ الحضارات من خلال الترجمة.[2]" (1991:7).

إلا أن الدارس والباحث في تاريخ الترجمة يلاحظ أن الترجمة نفسها لا يمكن أن تنحصر في مجال معرفي واحد فكل العلوم والمجالات تضيف إليها شيئا وتؤثر على سيرورتها وآلياتها. وكما وصف ذلك دوليل: "بين مجالات قريبة أو بعيدة يجب التفاوض حول التحالفات، فتاريخ الترجمة يوجد في وسط مجموعة من المجالات المتقاطعة التي تكمل وتدعم بعضها البعض.[3]" (1997:23).

وقد اهتم التأريخ للترجمة بتقديم والتعليق وانتقاد مجموعة لا متناهية من الترجمات التي تمت عبر التاريخ، كترجمات الكتب السماوية بدءا من الإنجيل وصولا إلى القرآن الكريم، وأيضا الترجمات من اللغة اليونانية

[1] يقول لوفيفير (1993:240) (Lefevere): "إذا كانت الدراسات الترجمية لا تهدف فقط إلى تدريب المترجمين فهي قادرة على أن تجعله يهتم بتحليل الجزء الأكثر أهمية للدور الذي لعبته الترجمة في تطور وتقدم الثقافات."
الترجمة لي، والنص الأصلي بالإنجليزية:
''If translation studies is not supposed to only train translator, it can turn its attention to the analysis of the enormously important part that translation has played in the development and evolution of cultures."

[2] الترجمة لي والنص الأصلي بالفرنسية:
''Etudier l'histoire de la traduction, en effet, équivaut en quelque sorte à reprendre l'histoire du monde, l'histoire des civilisations, mais par le biais de la traduction.''

[3] الترجمة لي والنص الأصلي بالفرنسية:
''Entre disciplines proches ou lointaines, il faudra donc négocier des alliances. L'histoire de la traduction se situe au carrefour de disciplines convergentes s'appuyant, s'étayant, se suppléant l'une l'autre.''

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

واللاتينية خلال العصر الوسيط والترجمة خلال عهد العباسيين. واللائحة ما تزال طويلة بامتداد الترجمة وتنوع المحتويات التي ترجمت.

عند كتابة تاريخ الترجمة خلال حقبة معينة أو عند مترجم ما يجب على الباحث التركيز على وضع الأحداث الزمنية المهمة والتي أثرت في المنحى الذي اتبعته الترجمات. فعند الحديث مثلا عن الترجمة خلال العصر العباسي لا بد أن نتوقف عند أهم الإنجازات الترجمية التي قام بها عدد من المترجمين من أمثال حنين بن إسحاق وما كان لبيت الحكمة الذي أسسه الرشيد والد المأمون من صدى وتأثير كبير على مسار العلوم والمعرفة في العالم الإسلامي. وقد عرف بين الحكمة حقبة ذهبية خلال عهد المأمون. فقد عمل المترجمون في ثناياه على نقل كل ما وصلت له الأمم السابقة من علوم من أجل إنتاج علمي عظيم تفخر به الأمة العربية والإسلامية. وقد عين على رأسه عالم مسيحي ملم باللغة اليونانية وهو ماسويه وقد تتلمذ فيما بعد حنين بن إسحاق على يد ابنه يوحنا بن ماسويه، ونظرا للمكانة التي حظي بها حنين بن إسحاق عينه المأمون على رأس بيت الحكمة. من أهم العلوم التي تمت ترجمتها الطب، والفلسفة، وما كتبه وألفه أبوقراط وجالينوس. وعند العودة إلى حنين بن إسحاق فهو اسم مرموق يشهد له تاريخ البشرية لما خلفه من ترجمات من اليونانية إلى العربية وقد تتلمذ على يده عدد كبير من المترجمين. ومن خصائص ترجماته انها كانت دقيقة فقد عرف عنه أنه يعيد قراءة ما يترجم كما أن ترجمته ابتعدت عن نقل الألفاظ واعتمدت نقل المعاني في احترام للنص الأصلي ودقة التعبير باللغة العربية.

ومن الوسائل أو المنهجيات التي يجب اتباعها أيضا هو تجميع الترجمات التي قام بها المترجمون، وهو أمر غفلنا عنه نحن العرب وجل المخطوطات العتيدة والكنوز الثمينة من الإنتاجات العربية نجدها محفوظة وبعناية فائقة في رفوف أرقى وأعرق المكتبات في العالم الغربي. إن الإهمال لتجميع الترجمات هو إهمال لتاريخ الترجمة وما قدمته والسيرورة التي اتخذها مختلف المترجمين على اختلاف الحقب التي عاشوا خلالها. يقول جورج مونان (Georges Mounin) معلقا على ما تركه المترجمون بعد شيشرون: "في جميع الأحوال يتعلق الأمر بنقاشات أدبية والتي تشكل مجموعة كبيرة من الشهادات أكثر منها أبحاثا." (1976:89) فهو يعتبر أن ما كتب عن الترجمة قديما ما هو إلا خواطر أو عموميات عن وصف ممارسة الترجمة وكأنها حرفة. فعلى المؤرخ للترجمة ألا يفرغ كتاباته من الأهم لكي يركز على سرد حكايات وإنما على وقائع وحقائق يمكن التأكد من صحتها. فمثلا روي أن الخليفة المأمون كان يؤدي لحنين بن إسحاق وزن ما يترجمه ذهبا دليل قاطع على الاهتمام الذي كان يوليه الخليفة العباسي من أهمية للترجمة والعلوم بصفة عامة، وهذه الواقعة قد استشهد على صحتها في العديد من الكتب التاريخية. لكنه عرف أيضا عن حنين أنه كان يستعمل ورقا سميكا وثقيلا نوعا ما فقد كان يحب الثراء أيضا كما يحب الترجمة.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وقد اهتم المؤرخون الغربيون بتأليف كتب عن أعظم التراجمة في بلدانهم، فنجد إيدموند كاري (1963: 6) (Edmond Cary) في كتابه أهم المترجمين الفرنسيين (Les grands traducteurs français) يقوم بسرد عدد من المترجمين في القرن السادس عشر ميلادي أشهرهم إيتيان دولي (Etienne Dolet). في العالم العربي نجد أن العلماء العرب ألفوا أيضا قديما الكثير من التراجم التي تسرد سيرا ذاتية لعلماء عرب في كل المجالات من بينهم المترجمين، منها موسوعة علماء العرب والمسلمين لمحمد فارس.

إن التأريخ للترجمة كما التأريخ بصفة عامة يجب أن ينظر له من منظور علمي. فنجد أن كولينوود (1956:10) (Collingwood) يعتبر أن التاريخ علم فهو يبحث عن أسئلة لفرضيات، كما أنه يهتم بما فعله الناس في الماضي ويقوم بالتعليق على الأحداث وليس سردها فقط. فتسنتج أن عملية التأريخ هي سرد لما وقع من أحداث حسب تسلسل زمني معين لكن هذا السرد ليس جافا أو هدفه السرد فقط فهو يمر بمراحل الملاحظة وطرح الفرضيات والتحقق منها والتعليق على النتائج التي نجمت عنها. يضيف بول فيين (1971:10) (Paul Veyne): "يروي المؤرخون قصصا حقيقية بطلها الإنسان، فالتاريخ رواية حقيقية."[4]

إن عملية التأريخ للترجمة تقتضي إذن من المؤرخ والباحث في الميدان تفسيرا لما وقع حسب الحقب وحسب المترجمين وأعمالهم في كل فترة زمنية. فالمؤرخ للفترة العباسية وبيت الحكمة عليه أن يقارن الترجمات ويحلل سيرورتها وطبيعتها حتى يمكن لدارسي الترجمة أن يتبينوا النسق الذي كان سائدا في تلك الفترة. الشيء نفسه ينطبق على مرحلة مدرسة طليطلة في الأندلس، فنجد أن هذه المدرسة أسست لمفهوم مدارس ومعاهد الترجمة فيما بعد حول العالم. إن نحن بحثنا مثلا في المترجمين الغربيين خلال نهاية القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر، نجد أن المترجمين معظمهم، قاموا بترجمة تعتمد على تحوير الإنتاجات الأجنبية بجعلها أكثر ملاءمة للثقافة الهدف ودون احترام متعمد للزمن من خلال اعتماد المفارقة التاريخية (Anachronisme).[5] إن المتأمل والدارس لتاريخ الترجمة يقوم بالتدقيق في المراحل الزمنية لكل مترجم أو أعمال مترجمة حتى لا ينسب عملا أو مترجما لحقبة ما دون تعليل منطقي قائم على أسس علمية. فالبحث في المصادر يجب أن يكون رصينا لأن المؤرخ هو من يعطي صفة مصدر لكل ما يجده ويتعلق بالماضي، والتاريخ يتجلى في هذه المصادر. وفي هذا الصدد يؤكد دوليل أن المؤرخ الذي يحاول أن يكون عمله ذو مصداقية عليه أن يضع نصب عينيه ضرورة البحث في أحداث حقيقية وبعدها تجميعها وترتيبها حسب الأسباب والظروف المتعلقة بها. فعمل المؤرخ للترجمة هو أيضا تحليل وتركيب لما لديه من مادة من أجل فهم ماضي الترجمة والتأسيس لحاضرها وغدها. دون التأثر بما يدور

[4] الترجمة لي والنص الأصلي بالفرنسية:
''Les historiens racontent des événements vrais qui ont l'homme pour acteur ; l'histoire est un roman vrai.''
[5] دوليل، 1997، ص 28، المرجع السابق.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

حوله من أحداث ودون إسقاط ما يعيشه الإنسان والمجتمع والإبداع في عصرنا الحالي لأن الزمن غير الزمن. إن ما يمكن أن يعاب على من يؤرخ للترجمة هو السقوط في الذاتية وإصدار الكثير من الأحكام من وجهة نظر شخصية دون الأخذ بعين الاعتبار أن الهدف الأول هو الاكتشاف من أجل استثمار ذلك في الدراسات المتعلقة بالترجمة. الترجمات التي ورثناها عليها أن تدرس من خلال السياق الذي جاءت فيه، يقول مارك بلوش (1993:89) (Marc Bloch): "لا يمكن أن نشرح ظاهرة تاريخية شرحا وافيا خارج دراسة الزمن الذي وقعت فيه.[6]" عند معرفة السياق سيتمكن دارسو الترجمة والمهتمين بعلومها من استثمارها في الدراسات الترجمية. لذلك لا يجب حصر اكتشاف وكتابة تاريخ الترجمة في المترجمين المرموقين عبر الحقب الزمنية أو الترجمات التي وصلتنا وما زالت حاضرة وتدرس لحد الساعة، وإنما أيضا تطور وتغير نظريات الترجمة وأنماطها والمفاهيم التي أثارت نقاشات كبيرة ومتعددة حول الترجمة. يقول كريستيان باليو (1995:66) (Christian Balliu): "يحاول المؤرخون ولا يستثني مجال الترجمة في هذا الصدد حصر فكر الكتاب في خطاطة نظرية ضيقة وذلك راجع لتسهيل عمليات الربط.[7]" لأن التأريخ لنظريات الترجمة لا يجب أن ينفصل عن كون الترجمة نشاطا إنسانيا وأن الترجمة لا تقوم على ترجمة اللغة وإنما كل الموارد المتدخلة في الإنتاج الإنساني.

لمحة عن التاريخ الزاخر للترجمة عند العرب: عندما نعود إلى بيت الحكمة نجد أن الباحثين كانت لهم آراء مختلفة منهم من رأى أن الترجمة بدأت أولا مع الأمويين وأصبحت مؤسسة وفي إطار منظم مع العباسيين. فقد قال النديم (1978:338): "كان خالد بن يزيد يعتبر حكيم آل مروان... فأمر بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونانيين ممن ينقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي... وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة." كما أننا نجد ان الجاحظ قد ذكر القصاص موسى بن يسار الأسواري واعتبره أول من ترجم القرآن أو إن صح التعبير فسر القرآن باللغة الفارسية، فقد أورد في البيان والتبيين أنه: "كان من أعاجيب الدنيا وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين. واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبها إلا ما ذكروا من لسان موسى بن يسار الأسواري.[8]" ومن بيت الحكمة انتقلت الترجمة بعد فتح الأندلس والحضارة الكبيرة التي أسسها المسلمون هناك، انتقلت العلوم ومعها الترجمة إلى مدرسة طليطلة، والتي كما ذكرت سابقا كانت مهدا

[6] الترجمة لي والنص الأصلي بالفرنسية:
''Jamais, un phénomène historique ne s'explique pleinement en dehors de l'étude de son moment.''
[7] الترجمة لي والنص الأصلي بالفرنسية:
''Les historiens, et le domaine de la traduction ne constitue pas une exception, tentent trop souvent d'embrigader la pensée des auteurs dans un schéma théorique étriqué, et ce pour des raisons de commodité articulatoire.''
[8] الجاحظ، (1948م- 1367ه)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج 1، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 123.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ومنطلقا لمعاهد الترجمة عبر العالم. لم الحديث عن هذه المدرسة، لأن نقل العلوم أصبح في الاتجاه المعاكس أي من العربية إلى اللاتينية أو القشتالية. وقد أشار إلى ذلك آلان دوليبيرا (1991: 113) (Alain de Libera): " أصبحت طليطلة في العالم النصراني في القرن الثاني عشر ما كانت عليه بغداد عند المسلمين، فالتاريخ يعيد نفسه." هناك من المؤرخين من يذكر أن الكنيسة كانت السبب في تحريك عملية الترجمة، فإلى جانب طليطلة ظهرت مراكز أخرى للترجمة كنابولي وصقلية. من أشهر المترجمين الذين عملوا بطليطلة جيراردو كريموني ودومينجو جونثاليت، ومايكل سكوت، وهرمن جيوم اللوني، وبيير جاليجو. وأيضا يوحنا بن داود الإسباني وآل تيبون.

ومع قدوم نابليون إلى مصر في القرن الثامن عشر، سيشهد العالم العربي استفاقة للحركة الترجمية، فتوافد المستشرقين على مصر كان له صدى كبير في التعرف على الثقافة العربية وقد تكلل ذلك بتأسيس مدرسة الألسن.

إن الترجمة كانت وستبقى حلقة الوصل بين الحضارات والشعوب إما التي تتعايش في الفترات الزمنية نفسها أو بين الحضارات السالفة وتلك الكائنة في الحاضر. التعرف على الآخر عن طريق الترجمة هو اكتشاف للذات الإنسانية وكيفية تأقلمها مع واقعها ومع الموارد التي تتمتع بها في سياق معين. إن التأريخ للترجمة ما يزال مجالا حديث العهد ولا بد للمؤرخين العرب والباحثين في الترجمة من الانصباب على هذا المجال لأنه وقبل كل شيء يحفظ لنا التاريخ الزاخر الذي تركه السلف ويخبر المترجمين اللاحقين عما حققه السابقون وعن الطرق والمهارات والكيفيات التي اتبعوها من أجل تحقيق ما وصلوا له. لست أتحدث عن التاريخ وكأنه سرد لمجموعة من الأحداث المرتبة حسب تسلسل زمني من القديم إلى الحديث، وإنما تاريخ يعتمد على منهج علمي واضح يدقق الأحداث والشهادات ويقدمها ضمن منهج تحليلي وتفسيري، حتى تتمكن الدراسات الترجمية من استغلال النتائج في بناء ونقد وتطوير منهاج نظري للترجمة.

المراجع:

الجاحظ (1948م- 1367هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج 1، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،

الشكعة، مصطفى (1973)، مناهج التأليف عند العرب، دار العلم للماليين، بيروت.

طه، عبد الرحمن (2000)، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة الثانية.

النديم، محمد بن إسحاق (1978م-1398هـ)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة للنشر، بيروت.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

Bloch, Marc (1993), Apologie pour l'histoire ou Métier d'historien, édition critique préparée par Etienne Bloch, préface de Jacques Le Goff, Paris, Armand Colin.

Collingwood, R. G. (1956), The Idea of History (c1946), London/Oxford/New York, Oxford University Press.

D'hulst, Lieven (1994), ''Enseigner la traductologie : pour qui et à quelles fins ?, Meta, 39, 1, p :8-14.

Delibera, Alain (1991), Penser au Moyen Âge, Ed. Seuil, Paris.

Delisle, Jean (1997-1998), ''Réflexions sur l'historiographie de la traduction et ses exigences scientifiques'', Equivalences, vol 26, n°2 et vol 27, n°1, p :21-43.

Lambert, José (1993), ''History, Historiography and the Discipline. A Program'', Y. Gambier et J. Tommola (dir.) (1993), Translation & Knowledge, ssot iv, (actes du 4e symposium scandinave sur la théorie de la traduction, Turku, 1992), Grafia Oy, Turku, p : 3-26.

Lefevere, André (1993), ''Discourses on Translation: Recent, Less Recent and to Come'', Traget, 5, 2, p:229-241.

Mounin, Georges (1976), ''Les opérations de la traduction'' (c1972), Linguistique et traduction, Bruxelles, Dessart et Mardaga, éditeurs, p : 89-95.

Van hoof, Henri (1991), Histoire de la traduction en Occident, coll. Bibliothèque de linguistique, Paris/Louvain-la-Neuve, Editions Duculot.

Veyne, Paul (1971), Comment on écrit l'histoire, essai d'épistémologie, Paris, Le Seuil.